وسائل التربية الإسلامية في تزكية النفس

د. وقيع الله قسم السيد أحمد (★)

المقدمة

تزكية النفس والسمو بها أمر مهم بل هو عمل الأنبياء والدعاة إلى الله قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (١) وقد أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بدوام تزكية أنفسهم ووصف الله سبحانه وتعالى من يقوم بتزكية نفسه ويهتم بها بأنه من الفالحين قال تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ (٢) وقد أقسم الله سبحانه وتعالى أحد عشر قسماً بأهمية التزكية وذلك في قوله تعالى﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾ . . إلى قوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ (٣) وفي هذا البحث يحاول الباحث أن يتناول هذا الموضوع المهم – التزكية – سائلاً الله أن يصل فيه إلى نتائج مفيدة عله يبين أهمية هذا الموضوع .

المبحث الأول

مفهوم التزكية ومجالاتها وأوجهها

التزكية لغة :

تعرف التزكية لغة بأنها (الإصلاح والتطهير والنماء. ويقال: يزكى من

(★) أستاذ مساعد عميد كلية الألسن بالجامعة .
(١) سورة الجمعة ، الآية رقم (٢)
(٢) سورة الأعلى ، الآية رقم (١٤)
(٣) سورة الشمس ، الآيات رقم (١ – ١٠)

يشاء أي يصلح ، وتزكيهم بها : أي تطهرهم ، وزكاة المال تطهيره وتثميره وإنماؤه والزكاة : الطهارة والنماء والبركة) [١]

التزكية اصطلاحاً:

قال الطبري : (التزكية تطهير الناس من الشرك وعبادة الأوثان وتنميتهم وتكثيرهم بطاعة الله) [٢] ويقول ابن تيمية (التزكية هي تربية القلب وتنميته بالكمال والصلاح وذلك بحصول ما ينفعه ودفع ما يضره ، وتزكية النفس بالصالحات وترك السيئات أو هي إزالة الشر وزيادة الخير) [٣] وقال سيد قطب في شرح قوله تعالى – ويزكيهم – الواردة في قوله تعالى :﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ [٤] فقال ويزكيهم بمعنى (يطهرهم ويرفعهم وينقيهم ، يطهر قلوبهم وتصوراتهم ومشاعرهم ، ويطهر بيوتهم وأعراضهم وصلاتهم ، ويطهر حياتهم ومجتمعهم وأنظمتهم ، يطهرهم من أرجاس الشرك والوثنية والخرافة والأسطورة وما تبثه في الحياة من مراسم وشعائر وعادات وتقاليد هابطة مزرية بالإنسان وبمعنى إنسانيته ويطهرهم من دنس الحياة الجاهلية وما تلوث به المشاعر والشعائر والتقاليد والقيم والمفاهيم) [٥]

وقال ماجد عرسان (التزكية هي عملية تطهير وتنمية شاملين هدفها استبعاد العناصر الموهنة لإنسانية الإنسان وما ينتج عن هذا الوهن من فساد وتخلف وخسران وتنمية كاملة للعناصر المحققة لإنسانية الإنسان وما ينتج عن هذه التنمية من صلاح وتقدم وفلاح في حياة الأفراد والجماعة) [٦] وقال ماجد عرسان أيضاً (وحين نتدبر اللفظ القرآني – يزكيهم – نجد المقصود بالتزكية انتزاع ما هو غير مرغوب فيه وتعزيز ما هو مرغوب فيه فهي إذن تعديل للسلوك بلغة التربية الحديثة)[٧] ويقول سعيد حوي (فزكاة النفس تطهيرها من أمراض وآفات ، وتحققها

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مجلد ١٤ ، ص ٥٨ ، بيروت ، دار المعارف ١٩٦٨م ،بدون طبعة .

(٢) الطبري ، التفسير ، ج ١ ، ص٥٥٨ ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ

(٣) ابن تيمية ، الفتاوى ، ج ١٠ ، ص٩٦ ، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين ، السعودية ، بدون طبعة ، بدون تاريخ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية رقم (١٦٤)

(٥) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، المجلد الأول ، ص٥٠٧ . ط ١٠ ، دار الشروق ، بيروت .

(٦) ماجد عرسان الكيلاني ، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها ، ص١٣٥ ، دار القلم بالإمارات العربية المتحدة ، ط ١ ، ٢٠٠٥م .

(٧) ماجد عرسان الكيلاني ، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية ، ص٤١ ، ط ١ ، عمان ، جمعية

وتحققها بمقامات ، وتخلقها بأسماء وصفات ، فالتزكية في النهاية ، تطهر وتحقق وتخلق) [١] وبالنظر لكل هذه التعريفات السابقة للتزكية نجدها تدور حول طهارة النفس والأحاسيس والمشاعر والسمو بها إلى أعلى درجات الكمال البشري .

مجال التزكية :

مجال التزكية هو النفس الإنسانية أو القلب وذلك لقوله تعالى : (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) [٢] ولقوله ﷺ (التقوى هاهنا) [٣] ويشير إلى صدره ثلاث مرات ، وقال ماجد عرسان الكيلاني (النفس الإنسانية هي المجال الواسع للتزكية التي يوجه إليها القرآن الكريم والنجاح في هذه التزكية نجاة للإنسان نفسه ووقاية لجهوده العلمية والعمرانية من الفشل في الدنيا والخسران في الآخرة) [٤] .

ولكن دائرة التزكية في التربية الإسلامية أوسع من النفس فهي تمتد لتشمل الإنسان كله ، فكره وعاطفته وجسمه وسمعه وبصره وعقله .

أوجه التزكية :

للتزكية أوجه بها تكتمل عملية تزكية الإنسان ، يقول الدكتور علي جريشة عن أوجه التزكية إنها وجهان[٥].

الوجه الأول تخلية :

فالتخلية هي ترك الرزائل والنواهي والأخلاق الذميمة التي نهى عنها الشرع من غيبة ونميمة وإفك وبهتان وغير ذلك من السلوك المنهي عنه قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [٦] وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [١] وقد مدح

عمال المطابع التعاونية ، ١٩٨٧م

(١) سعيد حوي ، المستخلص في تزكية الأنفس ، ص٣ ، دار السلام ، القاهرة ، ط ١٢ ، ٢٠٠٦م

(٢) سورة الشمس ، الآيات رقم (٧ - ١٠)

(٣) مسلم ، الصحيح ، ج ٤ ، ص ١٩٨٦ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون طبعة .

(٤) ماجد عرسان الكيلاني ، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها ، ص ١٣٨ ، مرجع سابق.

(٥) علي جريشة ، نحو نظرية للتربية الإسلامية ، ص١٠٣ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٦م .

(٦) سورة الحجرات ، الآية رقم (١٢)

الله سبحانه وتعالى من منع نفسه عن الفواحش فقال ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [٢] فهذه دعوة قرآنية للتخلي عن الأخلاق الذميمة من غيبة ونميمة وفواحش ، وقال ﷺ ناهياً عن الزنا والكذب والتكبر (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ، شيخ زانٍ ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر) [٣] وقد أبان ﷺ أن مثل هذه الأخلاق الذميمة تباعد بين الإنسان وتزكية نفسه. وقال ﷺ (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذئ) [٤] فالتخلية تؤدي إلى طهارة الباطن وتزكيته قال أبو بكر جابر الجزائري (فالطهارة الباطنة هي تطهير النفس من آثار الذنب والمعصية ، وتطهير النفس من أقذار الشرك والشك والحسد والحقد والغل والغش والكبر والعجب والرياء والسمعة وذلك بالإخلاص واليقين) [٥] وقال عبد الله أبو السعود عن الطهارة الباطنة أو المعنوية (ومعناها تطهير النفس ، وتنقية الروح ، وتنوير الضمير ، والتخلص من الذنوب ، والتبرؤ من المعاصي ، ويكون ذلك بالتوبة الصادقة النصوح ، والعمل الطيب ، وامتثال أوامر الله تعالى بالحب والصدق والخير والتقوى) [٦] فالتخلية إذن هي الترك والابتعاد عن الأخلاق والسلوك الذميم وكل ما نهى عنه الشرع .

الوجه الثاني : تحلية :

التحلية تعني الاتصاف والتزين والتجمل بالأخلاق الحميدة التي أمر بها الشرع ، مثل الصدق والأمانة والكرم والشجاعة والصبر ، فامتثال أوامر الله يجعل الإنسان حلو السجايا والطباع ومقبولاً عند الله وعند الناس وهذه هي التزكية التي تدعو لها التربية الإسلامية قال تعالى آمراً بالتقوى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ

(١) سورة الأنعام ، الآية رقم (١٥١)
(٢) سورة الشورى ، الآية رقم (٣٧)
(٣) الإمام أحمد ، المسند ، ج ٢ ، ص٤٠٨ ، مؤسسة قرطبة للنشر ، مصر ، بدون طبعة ، بدون تاريخ .
(٤) البخاري ، الصحيح ، ج ١ ، ص١٦ ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٧ .
(٥) أبو بكر جابر الجزائري ، منهاج المسلم ، ص١٦١ ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ٢٠٠٧م، بدون طبعة .
(٦) عبد الله أبو السعود ، فقه العبادات ، ص١٠ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٢م .

وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [1] وقال تعالى آمراً بغض البصر فقال﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ ﴾ [2] فالتحلية تكون بالمكرمات وتنمية الحسن من الأخلاق حتى يصل الفرد المسلم بنفسه إلى درجة النفس المطمئنة ، وذلك يكون بمراقبة النفس ومحاسبتها وتوبيخها ومعاتبتها والارتقاء بها درجة درجة من السيئ إلى الحسن إلى أن يصل بها إلى درجة النفس المطمئنة قال الإمام الغزالي (اعلم أن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت أمارة بالسوء ميالة إلى الشر ، فرارة من الخير ، وأمرت بتزكيتها ، وتقويمها ، وقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها ، فإن أهملتها جمحت وشردت ، ولم تظفر بها بعد ذلك ، وإن لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة ، والعزل والملامة ، وكانت نفسك هي النفس اللوامة التي أقسم الله بها ، ورجوت أن تصير النفس المطمئنة المدعوة إلى أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية) [3] فعلى المسلم أن يلزم نفسه دائماً بصفتي التخلي والتحلي أي أن يكون بعيداً عن قبائح السلوك ومتحلياً بأجملها وأفضلها وأحسنها .

المبحث الثاني

تزكية النفس

مقدمة :

النفس كلمة لها معان عدة أبرزها كما يرى الغزالي المعنى الحسي المادي الذي يجمع بين قوة الغضب وقوة الشهوة ، والنفس بهذا المعنى هي الأصل الذي يجمع كل الأخلاق والصفات المذمومة[4] .

ولها علم قائم بذاته – وهو علم النفس – له علماؤه المختصون فيه. ولقد عرَّف علماء النفس ، علم النفس بأنه (هو العلم الذي يهتم بتفسير السلوك الإنساني

(١) سورة التوبة ، الآية رقم (١١٩)
(٢) سورة النور ، الآية رقم (٣٠)
(٣) الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج ٦ ، ص ٣٣ ، دار الجيل ، بيروت ، بدون طبعة ، بدون تاريخ.
(٤) الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج ٣ ، ص٤ ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون طبعة ، بدون تاريخ .

في المواقف الحياتية المختلفة والدوافع الكامنة وراء السلوك) [١] وقال ماجد عرسان في تعريف النفس (لقد تردد ذكر النفس في مئات المواضع من القرآن الكريم والحديث الشريف ويستخلص من هذه الاستعمالات المتكررة فيهما أن النفس هي الوجود الحي للإنسان كله ، وأن وجود النفس هذا ينقسم إلى قسمين : قسم معنوي يشار إليه باسم القلب ، وقسم مادي هو الجسم) [٢] وفي هذا المبحث يتناول الباحث أهم العناصر أو الجوانب التي إذا اهتم بها المؤمن أو المسلم يكون قد زكّى نفسه .

أقسام النفس :

قسمت النفس الإنسانية بحسب موقفها من طاعة الله والالتزام بشرعه وتعاليمه إلى ثلاثة أقسام هي :

[١] النفس المطمئنة : وهي النفس التي تنقاد لأمر الله تعالى وتنفذ تعاليمه وتوجيهاته وأوامره ونواهيه ، وفيها قال تعالى : (يا أيتها النفس المطمئنة أرجعي إلى ربك راضية مرضية) [٣]

[٢] النفس اللوامة : وسميت لوامة لقوله تعالى : (ولا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة) [٤] وقال الإمام الغزالي في سبب تسميتها باللوامة (أنها لا تستقر ولا تذعن بالكلية لأمر الله ولكنها تظل في حالة من المدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها واكتسبت صفة اللوامة لاعتراضها بصفة متكررة على صاحبها عندما يقصر في أمر العبودية فهي كثيرة اللوم والندم على ما فاتها) [٥]

[٣] النفس الأمارة بالسوء : وهي النفس المنقادة لشهواتها وهي كتلة من الأخلاق والصفات الذميمة قال تعالى ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ ﴾ [٦]

مدار تزكية النفس:

(١) عماد الزغول وعلي الهنداوي ، مدخل إلى علم النفس ، ص٢٦ ، دار الكتاب الجامعي العين ، ط ٢ ، ٢٠٠٤م .
(٢) ماجد عرسان الكيلاني ، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها ، ص١٣٨ ، مرجع سابق .
(٣) سورة الفجر ، الآيات رقم (٢٧ – ٢٨)
(٤) سورة القيامة ، الآيات رقم (١ – ٢)
(٥) الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج ٣ ، ص٤ ، مرجع سابق
(٦) سورة يوسف ، الآية رقم (٥٣)

مدار تزكية النفس في التربية الإسلامية ينحصر في أربعة عناصر أساسية هي كالآتي[١] :

١. تزكية القدرات العقلية .
٢. تزكية القدرات الإرادية .
٣. تزكية القدرات السمعية والبصرية .
٤. تزكية الجسم .

فمن اهتم بتزكية هذه العناصر الأربعة السابقة فقد زكي نفسه أو نفس من يرعاه وفيما يلي يتناول الباحث هذه العناصر الأربعة مبيناً دورها في تزكية النفس :

أولاً : تزكية القدرات العقلية :

العقل هو مناط التكليف عند الإنسان فلذلك لا بد من الاهتمام به وتزكيته وحمايته من الأمراض الحسية والمعنوية ، وقد عرف الجرجاني العقل بأنه (ما يعقل به حقائق الأشياء ، قيل محله الرأس ، وقيل محله القلب . . مأخوذ من عقال البعير يمنع ذوي العقول من العدول عن سواء السبيل)[٢] فالعقل إذن هو الذي يهدي صاحبه إلى الطريق الصحيح وأصحاب العقول دائماً في نعيم فلابد من الاهتمام بتزكية العقل حتى يكون في طريق الخير، قال ماجد عرسان الكيلاني (وتتعرض القدرات العقلية للحالات التي تتعرض لها القدرات الجسدية من العافية والمرض والموت : فهي تصح بالعلم والعمل ، وتمرض بالوهم والخرافة ، وتموت بالجهل المطبق ، لكل هذه الأحوال الصحية والمرضية احتاجت القدرات العقلية إلى تزكية دائمة ، ولذلك ندد الله بالمشركين الذين يتركون معقولاتهم حبيسة الأغلال والآصار الثقافية والموروثات الاجتماعية دون أن يزكوها بالعلم والمراجعة المؤديين إلى الإيمان والتوحيد وهذا هو معنى قوله تعالى : (وويل للمشركين)[٣] وتتحقق تزكية القدرات العقلية من خلال أمور ثلاثة ، الأول تزكية مسار الفكر والثاني تزكية أساليب التفكير والثالث تزكية أشكال التفكير)[٤]

---

(١) ماجد عرسان الكيلاني ، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها ، ص١٣٨ ، مرجع سابق .

(٢) الجرجاني ، التعريفات ، ص١٥٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٣م

(٣) سورة فصلت ، الآيات رقم (٦ – ٧)

(٤) ماجد عرسان الكيلاني ، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها ، ص١٤٠ ، مرجع سابق .

ثانياً : تزكية القدرات الإرادية :

العزيمة أو الإرادة (هي عبارة عن مجموعة من ردود الفعل المعقدة المزدوجة مع بعضها البعض ، والتي تكون نتيجتها القيام بعمل معين) [1] فالإنسان له إرادة وعزيمة تقوده نحو تحقيق أهدافه في هذه الحياة ولكن هذه الإرادة تحتاج إلى توجيه وإلى تزكية ، حتى تكون هذه الأهداف وفق ما يبيح الشرع ، وأقصر الطرق إلى تزكية القدرات الإرادية هو تهذيب الدوافع وتوجيهها نحو تحقيق أهدافها توجيها سليماً . قال ماجد عرسان الكيلاني (الإنسان فيه عدد كبير من القدرات أو الدوافع الإرادية تتوازى مع حاجاته المادية والمعنوية مثل : دوافع الشهوات ودوافع الحب ، ودوافع الغضب ، وهي كلها ضرورية ومهمة إذا توجهت نحو أهدافها توجيهاً سليماً والذي يستهدفه – منهاج التزكية – هو تنظيم عمل هذه الدوافع بحيث تتوجه نحو أهدافها التي خلقت من أجلها ، كأن تتحرك شهوات الطعام والشراب إلى أهدافها في الحفاظ على النوع الإنساني ، وحين تتوجه هذه الشهوات نحو أهدافها الصحيحة ولا تنحرف إلى سواها فإنها تسمى – عفة – أما إذا أصابها المرض فإنها إما أن تطغى وتنحرف عن مسارها الموصل إلى هذه الأهداف وفي هذه الحالة تسمى – فاحشة - وإما أن تضعف وتعجز عن العمل وفي هذه الحالة تسمى – عجزاً – وهنالك القدرات الغضبية وهي دوافع فطرية هدفها دفع العدوان عن الجسد البشري، وحين تزكى تلتزم بالهدف الذي خلقت من أجله تسمى شجاعة؛ وبها يكون دفع الضرر والحفاظ على الجسد البشري والنوع الإنساني وحين تطغى يكون عدواناً وقهراً للآخرين وتسلطاً عليهم . وكذلك من الدوافع والقدرات الإرادية دافع الخوف الذي خلق لهدف معين هو التحذير من الأخطار التي تهدد الجسد والنوع، وحين يتوجه دافع الخوف إلى هدفه الذي خلق من أجله يسمى – حذراً – وإليه وجه الله بقوله ﴿ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ [2] أما حين يصيبه المرض فإنه إما أن يشتط ويجنح إلى الإفراط وفي هذه الحالة يسمى – جبناً وهلعاً – وإما أن يضعف أو يتوقف وفي هذه الحالة يسمى تهوراً)[3] من خلال النظر في قول ماجد عرسان

(١) معاوية أحمد سيد أحمد ، إصلاح السلوك في ضوء الحديث النبوي ، ص٤٠ ، ط١ ، ٢٠٠٧م ، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة ، السودان

(٢) سورة النساء ، الآية رقم (٧١)

(٣) ماجد عرسان الكيلاني ، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها ، ص١٥٧ ، بتصرف ، مرجع سابق .

الكيلاني السابق نراه أشار إلى أن الإنسان له قدرات إرادية كثيرة مثل دوافع الشهوة والحب والخوف وكذلك دافع الغضب وهذه الدوافع والقدرات الإرادية تحتاج إلى تزكية دائمة، فمثلاً دافع الشهوة من مأكل ومشرب ونكاح إذا زكى ووضع في مساره الصحيح كان في صالح الإنسان والمجتمع وإلاّ كان هنالك ضرر كبير على الإنسان والمجتمع ، جراء الإهمال في تزكية هذه الشهوات وهنالك دافع الغضب فهو في حاجة دائمة للتزكية ويجب أن يكون فيما يرضي الله ورسوله ولا يضر الخلق والعباد وأن يكون الغضب في حفظ العرض والشرف وغيره وفي ذلك يقول الرسول ﷺ (**لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمراً لله عليه فيه مقال لا يقوم به، فيلقى الله فيقول : ما منعك أن تقول يوم كذا وكذا ؟ قال : يا رب إني خشيت الناس . قال : إياي أحق أن تخشى)** [1] وهنالك دافع الحب بأنواعه المختلفة فإنه يحتاج إلى تزكية، ولا تترك النفس أن تحب وفق هواها دون التقييد بأحكام الشرع في ذلك ، فالإنسان مثلاً يحب المال، قال تعالى : ﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [2] فتزكية حب المال تكون بصرفه فيما يرضى الله ورسوله ولا يكون سبباً في طغيان الإنسان وفساده .

فتزكية القدرات الإرادية تساعد الإنسان على الابتعاد عن المعاصي والكف عنها متى علم بوقوعه فيها وقد زكى ﷺ عزيمة وإرادة أصحابه على امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه ، قال معاوية أحمد سيد أحمد (إن قوة العزيمة قد ثبتها رسول الله ﷺ في قلوب أصحابه فكانوا يتجهون نحو تنفيذ أوامر الله تعالى بكل سهولة ويسر ، وليس أظهر في الاستدلال على هذا الأمر من واقعة تحريم الخمر ، فقد كانت الخمر هي حياة الناس في ذلك المجتمع الجاهلي ، وقد جاء الإسلام وتركهم عليها لفترة ثم لفت الله الأنظار إلى ضررها وفسادها، ثم تدرج بهم إلى أن حرَّمها ، وعندما نزل قوله تعالى محرماً للخمر قال تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [3] ما كان من الصحابة الكرام – والذين كان بعضهم يشرب الخمر لحياة طويلة – إلا وأن قالوا

(١) البيهقي ، السنن الكبرى ، ج ١٠ ، ص (٩٠ - ٩١) مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ١٩٩٤م .
(٢) سورة الفجر ، الآيات رقم (٩١ - ٢٠)
(٣) سورة المائدة ، الآيات رقم (٩٠ – ٩١)

انتهينا انتهينا[١]. بل عندما جاء نفر من الصحابة إلى بعض إخوانهم الذين كانوا يشربون الخمر في تلك اللحظة وأبلغوهم بنزول تحريم الخمر ، وضع الكأس من كان منهم يحملها في يده، بل منهم من كان الإناء في فمه فأخرجه[٢].

ثالثاً : تزكية القدرات السمعية والبصرية :

السمع والبصر من أعظم نعم الله على عباده ، فإذا زكى الإنسان هاتين الحاستين عاش سعيداً ومستقراً في هذه الدنيا ، وقد أمر الشرع بتزكية هاتين الحاستين وذلك يكون بالحفاظ عليها واستخدامها فيما يرضى الله ومن حفظهما حفظها الله له ، وذلك لقوله ﷺ (أحفظ الله يحفظك) [٣] فالإنسان مسئول يوم القيامة عن هذه الحواس هل حفظها أم لا قال تعالى﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [٤] وتكون تزكية السمع بحفظه عما يغضب الله فلا يستمع به الغيبة والنميمة وما شابهها من المحرمات قال تعالى مادحاً من يزكون سمعهم عن المحرمات﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ ﴾ [٥] وكذلك من تزكية السمع أن لا يستمع الإنسان به إلاّ الطيب من القول والذي يرضي الله ويؤجر الإنسان عليه قال تعالى ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴾ [٦]

وتكون تزكية البصر بحفظه عن النظر إلى المحرمات والعورات ، لأن في إطلاق البصر ضرر كبير على الإنسان والمجتمع وفي حفظ البصر طهارة وتزكية للفرد والمجتمع وقد زكى الله تعالى بصر رسوله محمد ﷺ إذ قال تعالى ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [٧] وقد قال تعالى آمراً بحفظ البصر فقال﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ

(١) الترمذي ، السنن ، ج ٥ ، ص ٢٥٣ ، دار الحديث ، القاهرة ، بدون طبعة ، بدون تاريخ
(٢) معاوية أحمد سيد أحمد ، إصلاح السلوك في ضوء الحديث النبوي ، ص٤٢ ، مرجع سابق
(٣) الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، ج ٣ ، ص٥٤١ ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون طبعة .
(٤) سورة الإسراء ، الآية رقم (٣٦)
(٥) سورة القصص ، الآية رقم (٥٥)
(٦) سورة الصافات ، الآية رقم (٨)
(٧) سورة النجم ، الآية رقم (١٧)

أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [1] قال ابن كثير في شرح الآية أعلاه (هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم ، فلا ينظرون إلا إلى ما أباح الله النظر إليه وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم ، فإن وقع البصر على محرم من غير قصد ، فليصرف بصره عنه سريعاً) [2] وقال ابن كثير في قوله تعالى﴿ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ﴾ [3] (أي أطهر لقلوبهم وأنقى لهم ، كما قيل: من حفظ بصره أورثه الله نوراً في بصيرته) [4] وغض البصر ليس على إطلاقه بل غضه عما حرم الله وإطلاقه فيما أحل الله قال الإمام الغزالي (وأما العين فيحفظها عن النظر إلى وجه من ليس له بمحرم أو إلى عورة مسلم أو النظر إلى مسلم بعين الاحتقار ، بل عن كل فضول مستغنى عنه ، فإن الله تعالى يسأل عبده عن فضول النظر كما يسأله عن فضول الكلام ، ثم إذا صرفها عن هذا لم تقنع به حتى يشغلها بما فيه تجارتها وربحها وهو ما خلقت له من النظر إلى عجائب صنع الله بعين الاعتبار والنظر إلى أعمال الخير للإقتداء والنظر في كتاب الله وسنة رسوله ومطالعة كتب الحكمة للاتعاظ والاستفادة) [5]

رابعاً : تزكية الجسم :

الجسم هو أحد مكونات الإنسان فلابد من الاهتمام بتزكيته، وهذه التزكية تكون بإشباع الإنسان لحاجاته وفق ما أباح الشرع ، والإنسان حين ولادته يولد مفطورا على حاجات عدة، والتي منها الحاجة إلى الطعام والشراب والجنس، وعلى الإنسان أن يلتزم في إشباع حاجاته هذه بما أحله الله ويتجنب ما حرمه الله وفي سياق الأمر بالتزكية يقول الله سبحانه وتعالى﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [6] وقال تعالى﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ

(١) سورة النور ، الآية رقم (٣٠)
(٢) ابن كثير ، التفسير ، ج ٦ ، ص٤١ ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، السعودية ، مجمع الملك فهد للطباعة والنشر ، ط ٢ ، ١٩٩٩م
(٣) سورة النور ، الآية رقم (٣٠)
(٤) ابن كثير ، التفسير ، ج ٦ ، ص٤٣ ، مرجع سابق
(٥) الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج ٤ ، ص٣٨٣ ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت ، بدون طبعة .
(٦) سورة البقرة ، الآية رقم (١٧٢)

ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾ [١] وقال تعالى﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ [٢] وقال تعالى ناهيا عن الزنا لأنه يحول بين الإنسان وتزكية النفس فقال تعالى ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴾ [٣] وقال ماجد عرسان في تزكية الجسم (ولذلك احتاج الجسم الإنساني إلى تنظيم حاجاته وتزكيتها بغية تحقيق هدفين اثنين : الأول : إباحة كل ما أحله الله للإنسان ، والذي أحله الله هو الطيب النافع ويوفر النمو والعافية للجسم وللنوع البشري الاستمرار ، والثاني : منع كل ما حرمه الله على الإنسان ، والذي حرمه الله هو الخبيث الضار الذي يصطدم بقوانين الخلق ويهدد نمو الجسم وعافيته بالأخطار التي تهدد بقاء النوع البشري ويقعد الإنسان عن القيام بمسئولياته) [٤]

ولقد حثت السنة النبوية على تزكية الجسم ووضعت لذلك مجموعة من القواعد والأسس منها[٥] :

[١] راعت السنة حاجات الجسم للهو والترويح البريئين لما فيه من راحه للجسم وتزكية ، فأباحت بعض أنواع اللهو قال ﷺ (كل شيء ليس فيه ذكر الله فهو لهو ولعب إلا أربع ، ملاعبة الرجل امرأته، وتأديب الرجل فرسه، ومشيه بين الفرضين، وتعليم الرجل السباحة) [٦] ، وقال ﷺ (الهوا والعبوا ، فإني أكره أن يُرَى في دينكم غلظة) [٧]

[٢] راعت التوجيهات القرآنية والتطبيقات النبوية حاجات الذوق الجمالي عند إنسان التربية الإسلامية شريطة أن يوجهها المبدأ الأخلاقي ومن ذلك قوله تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾

(١) سورة الأعراف ، الآية رقم (١٥٧)
(٢) سورة المائدة ، الآية رقم (٣)
(٣) سورة الإسراء ، الآية رقم (٣٢)
(٤) ماجد عرسان الكيلاني ، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها ، ص١٦٦ ، مرجع سابق .

(٥) المرجع السابق ، ص١٦٦ .
(٦) النسائي ، السنن ، ج ٥ ، ص٣٠٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩١ .
(٧) الهندي ، كنز العمال ، ج ١٥ ، ص٢١٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٩م ، بدون طبعة .

[1] وقال ﷺ (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، فقال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال : إن الله جميل يحب الجمال . الكبر بطر الحق وغمط الناس) [2]

[٣] ومن التوجيهات الجمالية التنفير من القذارة والرثاثة وشعث الهيئة واللباس والأثاث وهذه التوجيهات وإن كانت ظاهرية إلا أن فوائدها ستنعكس على باطن الإنسان وجوهره لأنه لا يصح أن يهتم المرء بجماله الخارجي ويكون قلبه وفعله بلا جمال، فمن ظاهره لله ولأمر الله يصفو باطنه بإذن الله ، وقد أشار عدد من المفسرين إلى هذا المعنى عندما فسروا قوله تعالى ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [3] فقال القرطبي (إن في الآية دلالة على ضرورة نظافة الظاهر والباطن) [4]

(١) سورة الأعراف ، الآية رقم (٣١)
(٢) الإمام النووي ، شرح صحيح مسلم ، المجلد الأول ، ج ٢ ، ص٨٩ ، مكتبة الغزالي ، دمشق ، بدون طبعة .
(٣) سورة المدثر ، الآية رقم (٤)
(٤) القرطبي ، التفسير ، ج ١٩ ، ص ٦٤ ، القاهرة ، دار الشعب ، ط ٢ ، ١٣٧٢هـ .

المبحث الثالث

وسائل التربية الإسلامية في تزكية النفس

مقدمة :

في هذا المبحث يحاول الباحث أن يتناول وسائل التربية الإسلامية في تزكية النفس والمراد بوسائل التزكية (هي الأعمال التي تؤثر تأثيرا مباشرا على النفس بأن تشفيها من مرض أو تخرجها من أسر أو تحققها بخلق) [١] وهذه الوسائل كثيرة جدا ولكن سيقتصر الباحث هنا على أبرز وسائل التزكية والتي عرفت بأمهات وسائل التزكية وهي - الصلاة، الصوم ، الزكاة ، والحج ، والذكر .

أولاً : الصلاة

الصلاة لغة : جاء في لسان العرب (الصلاة : الدعاء والاستغفار) [٢] (وصلاة الله على رسوله رحمته له وحسن ثنائه عليه) [٣] وقال القرطبي في شرح قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [٤] (الصلاة من الله رحمته ورضوانه ومن الملائكة الدعاء والاستغفار ومن الأمة الدعاء والتعظيم لأمره) [٥]

الصلاة شرعاً :

الصلاة شرعاً هي (أقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم) [٦] . والصلاة واجبة بنص الكتاب والسنة، وهي من أهم العبادات التي أمر الله بها عباده ، فما من رسول أرسله الله إلا كان من أول توجيهاته له أن أمره

(١) سعيد حوي ، المستخلص في تزكية الأنفس ، ص٢٧ ، ط ٢ ، ٢٠٠٦م دار السلام ، القاهرة .
(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٤ ، ص٢٤٩ ، دار المعارف ، بدون طبعة ،
(٣) ابن منظور ، المرجع السابق ، ص٢٧
(٤) سورة الأحزاب ، الآية رقم (٥٦)
(٥) القرطبي ، التفسير ، ج ١٤ ، ص٢٣٢ ، بيروت ، مؤسسة مناهل العرفان ، بدون طبعة .
(٦) وهبه الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته ، ج ١ ، ص٤٩٧ ، دار الفكر ، دمشق ، ط ٣ ، بدوت تاريخ .

بالصلاة والمحافظة عليها؛ فهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام يناجي ربه ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾ [1] فالصلاة من أعظم وسائل التزكية ، وفيما يلي يحاول الباحث أن يستخلص دور الصلاة في تزكية النفس والتي تتضح في الآتي :

[١] في الصلاة تزكية للأخلاق :

الصلاة هي واحدة من العبادات التي حث عليها الإسلام والعبادة الصحيحة التي يقوم بها المؤمن ، تجعل أخلاقه حميدة قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ ﴾ [2] فالصلاة تزكي المؤمن وتبعده عن فعل الفحشاء والمنكر من قول وعمل وفي ذات المعنى قال الرسول ﷺ (من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهاه عن المنكر لم يزدد من الله إلا بعداً) [3] وقال معاوية أحمد سيد أحمد في دور الصلاة في إصلاح النفس (إنَّ اعتناء الإسلام بهذه الشعيرة فيه الكثير من الحكم والأسرار والمقاصد ولعل من هذه المقاصد التي تستفاد من الصلاة : إصلاح النفس : فالصلاة تغير من حياة الإنسان وتعدل من تصرفاته وطريقة حياته وترتقي به إلى الأفضل) [4] فالصلاة تعدل وتغير سلوك الإنسان إلى الأفضل وهذه هي التزكية المرتجاة .

[٢] في الصلاة طهارة من الذنوب والخطايا :

الإنسان بشر يخطئ ويصيب ويقع في المعاصي قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ ﴾ [5] فالصلاة توبة تتوالى تتوالى طوال اليوم فتمحو خطاياه ، قال تعالى﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ

(١) سورة إبراهيم ، الآية رقم (٤٠)
(٢) سورة العنكبوت ، الآية رقم (٤٥)
(٣) الهيثمي ، مجمع الزائد ، ج ٢ ، ص٢٥٨ ، دار الفكر بيروت ، ١٤١٢هـ ، بدون طبعة .
(٤) معاوية أحمد سيد أحمد ، إصلاح السلوك في ضوء الحديث النبوي ، ص٥٧ ، مرجع سابق .
(٥) سورة آل عمران ، الآية رقم (١٢٥)

ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾ [1] ويقول الرسول ﷺ (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله قال : إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط) [2] وقال ﷺ: (أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً ما تقول ذلك يبقى من درنه؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيئاً ، قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا) [3]

[٣] في الصلاة علاج ووقاية لبعض الأمراض النفسية :

الإنسان مخلوق ضعيف تعتريه الكثير من اللحظات المحزنة والمؤلمة ولو لم يصبر عليها لا شك أنها ستؤثر على صحته النفسية وعلى روحه إذا لم يكن من المصلين ومصداق ذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴾ [4] فالهلع مرض نفسي والصلاة توقي منه ، والإنسان في حياته اليومية وسعيه في طلب الرزق يكون عرضة للربح والخسارة ففي حالة الربح يكون عرضة للإصابة بمرض الطغيان على الناس ظاناً بأن هذا الربح جاء بفكره وجده واجتهاده كما فعل قارون إذ قال ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾ [5] ولكن إذا خسر الإنسان أحس بمرض الاستضعاف والدونية عن الناس ، ويظل الإنسان غير المصلي متأرجحاً في حالتي الربح والخسارة بين مرضي الطغيان والاستضعاف إلا المصلين ، قال ماجد عرسان الكيلاني (ولكن المقيم للصلاة تزوده الصلاة بالمناعة اللازمة إزاء مرضي الطغيان والاستضعاف وتبقى أحشاؤه في حالة توازن وتعادل ، ويظل تفكيره متوجهاً إلى الله باعتباره رب العوالم المحسوسة والمغيبة والمالك للنشأة ، والحياة والمصير ، والجدير بالاستعانة الكاملة والطاعة الكاملة) [6]

---

(١) سورة هود ، الآية رقم (١١٤)
(٢) الإمام أحمد ، المسند ، ج ٢ ، ص٣٠١ ، مؤسسة قرطبة ، مصر ، بدون طبعة
(٣) البخاري ، الصحيح ، ج ١ ، ص١٩٧ ، ط ٣ ، ١٩٨٧م ، دارة ابن كثير اليمامة ، بيروت .
(٤) سورة المعارج ، الآيات رقم (١٩ - ٢٢)
(٥) سورة القصص ، الآية رقم (٧٨)
(٦) ماجد عرسان الكيلاني ، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيه ، ص٢٤٨ ، مرجع سابق .

[٤] في الوضوء طهارة وتزكية :

الوضوء عملية معروفة يستعد بها المسلم لأداء الصلاة وهو طهارة وتزكية للمصلي ، والله سبحانه وتعالى إذ أمر بإقامة الصلاة ذكر الهدف من الوضوء فقال ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ [١] ففي الوضوء طهارة وتزكية للمسلم قال ﷺ: (إذا توضأ العبد المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه ، فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه ، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه ، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه، فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه ، فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه ، قال: ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة له) [٢] فالمتوضئ لا يتطهر طهارة مادية فقط بل يتطهر طهارة نفسية من الذنوب والآثام بجانب طهارته المادية .

[٥] توزيع أوقات الصلاة يساعد في التزكية :

توزيع أوقات الصلاة خلال اليوم يؤدي إلى استمرارية الصلاة في أداء دورها التزكوي للإنسان فهو يتنقل بين الصلوات من تزكية إلى تزكية ومن طهارة إلى طهارة . يقول عبد الفتاح عاشور (وكيف لا تحول الصلاة بين المؤمن والوقوع في أسر الشهوات والمؤمن ينتقل في يومه من صلاة : تبدأ أولاها مع موكب الضوء الهادي في السحر وتنتهي الرحلة آخر اليوم بصلاة العشاء، الأولى توقظه والأخيرة تسلمه إلى خالقه وبين هاتين يحيا الإنسان مندفعا في ضروب الحياة ، وكلما ضل الطريق أتت إحدى الفرائض فذكرته وغسلت عنه ذنوبه ومساوئه فعاد نقياً طاهراً وواصل رحلة الحياة في يمن ويسر ولا يهلع ولا يجزع إذا مسه الضر ، ولا يمنع خيره وعطاءه إذا ما وسع الله عليه لأن صلاته وثقت صلته بالله فأضحى بما عند الله أوثق مما في يده) [٣]

---

(١) سورة المائدة ، الآية رقم (٦)

(٢) الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، ج ١ ، ص٢٢٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٠م .

(٣) عبد الفتاح عاشور ، منهج القرآن في تربية المجتمع ، ص٣٧٠ ، ط ١ ، دار الجيل للطباعة والنشر ، مصر ، بدون تاريخ .

[٦] تربية الإرادة على الطاعة :

في الالتزام بأداء الصلاة في أوقاتها المحددة تربية لإرادة المؤمن على طاعة الله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه . قال خالد بن حامد الحازمي (وفي التوقيت الزماني لأوقات الصلاة إذا حافظ عليها العبد تربية لإرادته على الانقياد للطاعة فلا يجد بعد برهة من الزمن معناه من أدائها بل يجد سروراً ولذة ، في حين أن من لم يحافظ عليها في أوقاتها يجد أن إرادته ضعيفة أمام كبح شهوات النفس واسترسالها في المكروهات وربما في المحرمات ، ويجد صعوبة في ترك مألوفه)[١]

ثانياً : الزكاة

الزكاة لغة : زكا (زكاة) المال معروفة و (زكىَّ) ماله – تزكية – أدى عنه زكاته – و (زكى) نفسه أيضاً مدحها ، وقوله تعالى (وتزكيهم بها) قالوا تطهرهم بها و (زكاه) أيضاً أخذ زكاته ، و (زكا) الزرع يزكو (زكاء).[٢]

الزكاة شرعاً :

قال منصور بن يونس الزكاة شرعاً هي (حق واجب في مال خاص لطائفة مخصوصة في وقت مخصوص)[٣] وقال سيد سابق (الزكاة هي اسم لما يخرجه الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء، وسميت زكاة لما يكون فيها من رجاء البركة ، وتزكية النفس وتنميتها بالخيرات، فإنها مأخوذة من الزكاة، وهو النماء والطهارة والبركة)[٤] .

فالزكاة واحدة من وسائل تزكية النفس ولأن الله سبحانه وتعالى خلق

(١) خالد بن حامد الحازمي ، أصول التربية الإسلامية ، ص١٢٥ ، مكتبة دار الزمان ، المدينة المنورة ، ط ٢ ، ١٤٢٥هـ .

(٢) الرازي ، مختار الصحاح ، ج ١ ، ص٢٧٣ ، دار الحديث ، القاهرة ، بدون طبعة ، بدون تاريخ .

(٣) منصور بن يونس ، الروض المربع ، ج ١ ص٣٥٨ ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، ١٣٩٠هـ ، بدون طبعة

(٤) سيد سابق ، فقه السنة ، ج ١ ، ص٢٤٦ ، دار الفتح للإعلام العربي ، القاهرة ، ١٩٩٧م ، بدون طبعة .

الإنسان مفطوراً على حب المال وجمعه إذ قال﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [١] وأبان ﷺ شهوة الإنسان نحو المال فقال (لو أن لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب) [٢] .

وفيما يلي يستعرض الباحث بعض الآثار التربوية التزكوية للزكاة في حياة الفرد المسلم :

[١] **الزكاة تستأصل من نفس الغني الشح والبخل وتجعله سخياً كريماً :**

فالشح هو واحد من الأمراض النفسية التي يجب أن يتجنبها الإنسان المسلم والزكاة تستأصل هذا الشح من نفس الغني قال تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) [٣] وقال تعالى (ومن يوقَ شح نفسه فأولئك هم المفلحون) [٤] وقال ﷺ (ثلاث من كن فيه فقد بُرئ من الشح: من أدى زكاة ماله طيبة بها نفسه ، وقرى الضيف، وأعطى في النوائب) [٥]

[٢] **الزكاة تستأصل من نفس الفقير الحسد والطمع وتجعله عفيفاً راضياً :**

لأن الفقير إذا رأى المال في يد الغني وهو محروم منه، والغني مستمتع بهذا المال لوحده قد يحسده، وقد يطمع أن يسعى للأخذ من هذا المال بأي طريقة، ولكن إعطاء الفقير من هذا المال يستأصل من نفسه هذا الحسد والطمع .

[٣] **الزكاة فيها كفارة من الذنوب وتطهير للنفس وسمو بها في مدارج الكمال الإنساني :**

ومصداق ذلك قوله تعالى ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [٦]

[٤] **الزكاة تجعل المجتمع متعاوناً ومترابطاً :**

قال خالد حامد الحازمي (وكذلك الزكاة فإنها لا تتم إلا بين أثنين فأكثر ، فالذي يدفع الزكاة في أمس الحاجة إلى مسلم مستحق للزكاة ، كما أن إعطاء الزكاة

---

(١) سورة الفجر ، الآيات رقم (١٩ - ٢٠)
(٢) البخاري ، الصحيح ، ج ٥ ، ص٢٣٦٤ ، مرجع سابق
(٣) سورة التوبة ، الآية رقم (١٠٣)
(٤) سورة الحشر ، الآية رقم (٩)
(٥) الطبراني ، المعجم الصغير ، ج ٤ ، ص١٨٨ ، المكتب الإسلامي ، دار عمار ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ
(٦) سورة التوبة ، الآية رقم (١٠٣)

إلى مستحقيها تولد الإلفة والمحبة وتعلم الإنسان التعاون) [١]

[٥] **الزكاة تصون المال وتؤدي إلى زيادته :**

قال ماجد عرسان (والزكاة سبب من أسباب الازدهار الاقتصادي ووقاية من مضاعفات الاستغلال والاحتكار المفضيين إلى الحقد والحسد والفتن المدمرة والكوارث الماحقة) [٢]

[٦] **الزكاة وقاية للمجتمع من الانحراف نتيجة الفقر والعوز :**

قال ﷺ (واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم) [٣]

[٧] في الزكاة تزكية للأغنياء من الطغيان وللفقراء من الاستضعاف :

من خلال النظر في الآثار التزكوية للزكاة سالفة الذكر يتضح لنا دور الزكاة في تزكية النفس البشرية؛ فهي تستأصل من نفس الغني الشح والبخل وتحل محلها الكرم والسخاء، وتستأصل من نفس الفقير الحقد والطمع وتحل محلها العفة والرضاء بما قسم الله ، وفي الزكاة كفارة للذنوب ونماء للمال ووقاية للفقراء من الانحراف، وهذه هي أسمى آيات الطهارة وتزكية النفس التي تؤديها الزكاة للمسلم.

ثالثاً : الصوم

الصوم لغة :

جاء في لسان العرب (الصوم في اللغة الإمساك عن الشيء والترك له، وقيل للصائم صائم لإمساكه عن المطعم والمشرب والمنكح) [٤]

الصوم شرعاً هو

(الإمساك عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية) [٥]

وفيما يلي يحاول الباحث أن يقف على بعض الفوائد والآثار التزكوية للصوم على نفس المسلم .

(١) **في الصوم مجاهدة للنفس وتقوية للإرادة :**

---

(١) خالد حامد الحازمي ، ص١٢٧ ، مرجع سابق .
(٢) ماجد عرسان الكيلاني ، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها ، ص٢٦٥ ، مرجع سابق .
(٣) الطبري ، تهذيب الآثار ، ج ١ ، ص١٠٤ ، مطبعة المدني القاهرة ، بدون طبعة ، بدون تاريخ .
(٤) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٢ ، ص٣٥١ ، ط ١ ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ .
(٥) أبو الحسن المالكي ، كفاية الطالب ، ج ١ ، ص٥٥٣ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٢هـ ، بدون طبعة .

الصوم وثيق الصلة بمجاهدة النفس وتقوية الإرادة قال ﷺ (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) [١]. قال الشيخ القرضاوي (إن الصوم تربية للإرادة وجهاد للنفس ، وتعويد على الصبر ، والثورة على المألوف ، وهل الإنسان إلا إرادة ، وهل الخير إلا إرادة ، وهل الدين إلا صبر على الطاعة أو صبر على المعصية ، والصيام يتمثل في الصبرين) [٢] إذن الصوم يعين في الصبر على الطاعة والصبر على المعصية وهذه هي مجاهدة النفس المرجوة من صوم رمضان .

(٢) **الصوم وقاية من الذنوب والانحراف :**

وقد أشار الرسول ﷺ إلى أن (الصوم جنة) أي درعٌ واقٍ من الإثم في الدنيا ومن النار في الآخرة وذلك لقوله ﷺ (الصيام جنة من النار كجنة أحدكم من القتال) [٣]

(٣) **الصوم تهذيب للغريزة الجنسية:**

الإكثار من الطعام باب من أبواب الشر قال ﷺ (ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه، حسب ابن آدم ثلاث أكلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة، فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه) [٤] .

(٤) **الصوم زكاة للنفس :**

الصوم فيه تزكية للنفس لأنه يروضها على لزوم الطاعات وترك المنهيات وليس هنالك من تزكية أعظم من لزوم الطاعات وترك المنهيات وقد أورد الشيخ القرضاوي في حِكَمِ الصوم وفوائده ذات المعنى إذ قال (تزكية النفس بطاعة الله فيما أمر ، والانتهاء عما نهى، وتدريبها على كمال العبودية لله تعالى، ولو كان ذلك بحرمان النفس من شهواتها ، والتحرر من مألوفاتها ، ولو شاء لأكل أو شرب أو جامع امرأته ، ولم يعلم بذلك أحد ولكنه ترك ذلك لوجه الله وحده) [٥] .

(٥) **في الصوم تدريب على مكارم الأخلاق :**

الصوم مدرسة يتدرب فيها المسلم على مكارم الأخلاق والسلوك الحسن

---

(١) البخاري ، الصحيح ، ج ٥ ، ص٦٧٣ ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٧٨ .
(٢) القرضاوي ، فقه الصيام ، ص ١٢ ، دار الصحوة ، بالقاهرة ، ط ٢ ، ١٩٩٢م .
(٣) ابن ماجة ، السنن ، ج ٣ ، ص٤٥ ، مرجع سابق .
(٤) الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، ج ٤ ، ص٣٦٧ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٩م .
(٥) القرضاوي ، المرجع السابق ، ص١١ .

الذي يرتقي بالمسلم إلى الدرجات العلا عند المولى عز وجل ، فبالصوم يتدرب المؤمن على الصدق والأمانة والكرم والشجاعة والصبر والتسامح وغير ذلك من الأخلاق الحميدة قال ﷺ في الحديث القدسي (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي، وأنا أجزي به ، والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني أمرؤ صائم) [1] وقال خالد حامد الحازمي معقباً على الحديث القدسي السابق (وفي هذا التوجيه النبوي الكريم إرشاد إلى الصبر عن الرذائل؛ والتحلي بمحامد الأخلاق، وهذا يحقق انتصاراً لأثرة العطاء على الشح ، والخير على الشر والفضيلة على الرزيلة ، وفطام للنفس عن الهوى، وفي التمسك بالأخلاق يظهر انتصار العفة والطهارة على الشهوات والغرائز) [2]

(٦) الصوم يؤدي إلى التقوى :

الصوم يُعِدُّ الإنسان لدرجة التقوى والارتقاء في منازل المتقين قال ابن القيم (وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة وحمايتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها ، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها ، فالصوم يحفظ للقلب والجوارح صحتها ، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات ، فهو من أكبر العون على التقوى كما قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [3] [4]

وخلاصة القول في الصوم إنه صحة للبدن والعقل والروح وزكاة لها وما أعظم ذلك في حياة المؤمن وصلاحه وصلاح المجتمع الذي يعيش فيه .

رابعاً : الحج

الحج لغة :

(١) البخاري ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص٦٧٣ .
(٢) خالد حامد الحازمي ، مرجع سابق ، ص١٣٠ ،
(٣) سورة البقرة ، الآية رقم (١٨٥)
(٤) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج ٢ ، ص٢٣ ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٥م ، بدون طبعة .

قال الرازي (الحج في الأصل القصد وفي العرف قصد مكة للنسك) [١]

الحج شرعاً :

الحج شرعاً هو (قصد الكعبة لأداء أفعال مخصوصة) [٢]

الحج هو واحد من وسائل التربية الإسلامية في تزكية النفس وله فوائد تربوية وتزكوية تعود على المسلم الذي يؤدي هذه الفريضة منها:

(١) الحج يكفر الذنوب الصغائر ويطهر النفس من شوائب المعاصي :

قال ﷺ (من حج هذا البيت فلم يفسق ولم يرفث خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه) [٣] وقال ﷺ (الحجاج والعمار وفد الله إن دعوه أجابهم ، وإن استغفروه غفر لهم) [٤] .

(٢) في الحج طهارة للنفس وصفاء لها:

قال وهبه الزحيلي (والحج يطهر النفس ويعيدها إلى الصفاء والإخلاص ، مما يؤدي إلى تجدد الحياة ، ورفع معنويات الإنسان وتقوية الأمل وحسن الظن بالله تعالى) [٥]

(٣) في الحج تقوية للإيمان :

من أكبر فوائد الحج ومكاسبه تقوية الإيمان في النفوس قال محي الدين مستو (وفي أداء مناسك الحج يتذكر المسلم اليوم الآخر حيث يحشر الله الناس جميعاً للحساب والجزاء، لأن الحج مشهد مصغر لذلك اليوم العظيم وارتداء الثياب البيضاء كالأكفان ، وكثير من وجوه التشابه بين الموقفين تحدث هنا في الحياة الدنيا، فتهزه من أعماقه وتذكره بالموت وما بعده وتوقظه من سباته وغفلته) [٦] ومن القول أعلاه نخلص إلى أن اجتماع الحجاج وهم يؤدون مناسك الحج يذكر باليوم الآخر ويذكر بالموت فذكر اليوم الآخر والموت يقوي الإيمان في النفوس .

(٤) في الحج تربية أخلاقية :

---

(١) الرازي مختار الصحاح ، ص٥٢ ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ١٩٩٥م ، بدون طبعة .
(٢) وهبه الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته ، ص٢٠٦٤ ، ج ٣ ، مرجع سابق .
(٣) إسحاق بن راهوية ، المسند ، ج ١ ، ص ٢٣٨ ، ط ١ ، مكتبة الإيمان ، المدينة المنورة ، ١٩٩٦م .
(٤) ابن ماجة ، السنن ، ج ٢ ، ص٩٦٦ ، دار الفكر بيروت ، بدون طبعة .
(٥) وهبة الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته ، ج ٣ ، ص٢٠٦٨ ، مرجع سابق
(٦) محي الدين مستو ، عبادات الإسلام فقهها وأسرارها ، ص٣٧٢ ، ط ١ ، ١٩٩٠ ، دار ابن كثير ، دمشق ،

في الحج يتعلم المسلم الكثير من الأخلاق الحميدة مثل الصبر وتحمل المتاعب ويتعلم الالتزام بالأوامر والتضحية والإيثار وغير ذلك من الأخلاق الكريمة ويترك الكثير من الأخلاق الذميمة من غيبة ونميمة وفسوق امتثالاً لقوله تعالى ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ (١).

(٥) في الحج تجديد لذكر الله تعالى :

الحج موسم لتجديد ذكر الله بل الحج كله ذكر لله تعالى ، ابتداء من التلبية والدعاء والخشوع والتذلل وترك محظورات الإحرام والإكثار من الطاعات وترك مشاغل الدنيا والانقطاع لأداء مناسك الحج .

(٦) في الحج تزكية من مضاعفات الطغيان والاستضعاف :

قال ماجد عرسان (فالحج تربية بالخبرة وتزكية من مضاعفات الطغيان والاستضعاف التي تفرزها العصبيات القبلية والطبقية الإقليمية والعرقية وهو صهر عملي للاختلافات العارضة في اللون والجنس والثروة والمكانة الاجتماعية ، وتوحيد لقوى الخير وإعدادها للوقوف صفاً واحداً ضد الشر الذي يفترس الإنسان ويدمر إنسانيته) (٢) فالتزكية من مضاعفات الطغيان والاستضعاف تكون بشعور الناس في موقف الحج أنهم سواسية لا فرق بينهم لا في اللون أو الوظيفة أو الطبقة أو القبيلة ، فالناس سواسية لا يطغى أحد على أخيه في الحج ولا أحد يستضعف نفسه فمقياس التفاضل هو التقوى والقرب من الله وذلك لقوله تعالى﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾ (٣)

(٧) في الحج تحقيق للأخوة الإسلامية :

يقول الله سبحانه وتعالى لسيدنا إبراهيم عليه السلام﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ

(١) سورة البقرة ، الآية رقم (١٩٧)
(٢) ماجد عرسان الكيلاني ، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها ، ص٢٧٧ ، مرجع سابق .
(٣) سورة الحجرات ، الآية رقم (١٣)

يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [1] ففي كل عام يجتمع المسلمون حول البيت الحرام قادمون من كل بقاع الأرض لأداء فريضة الحج فيلتقي المسلمون ببعضهم البعض على اختلاف ألوانهم وسحناتهم ويتم التعارف بينهم ويشعرون أنهم أخوة محققون لقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [2] .

فإذن التزكية التي يجدها المسلم من الحج في سلوكه وروحه وجسده وإيمانه تنعكس على حياته الدنيوية ، فينبذ كل سلوك قبيح من قبلية وعصبية ويتمسك بكل سلوك حسن من عدل وإخاء ومساواة ، وهذه هي التزكية المرتجاة من الحج .

خامساً : الذكر :

الذكر هو واحد من وسائل التربية الإسلامية في تزكية النفس وتهذيبها بل يأتي ذكر الله في المقام الأول عند ذكر وسائل التربية في التزكية وذلك لقوله تعالى ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [3] ولقوله ﷺ (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى، قال: ذكر الله تعالى) [4] .

ويطلق مصطلح – الذكر – في القرآن الكريم والسنة النبوية ليدل على ثلاثة معانٍ هي[5] :

الأول : القرآن الكريم وما يتضمنه من توجيهات ومعارف مثل قوله تعالى﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [6]

الثاني : التسبيح باسم الله مثل قوله تعالى ﴿ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ

(١) سورة الحج ، الآيات (٢٧ – ٢٨)
(٢) سورة الحجرات ، الآية رقم (١٠)
(٣) سورة العنكبوت ، الآية رقم (٤٥)
(٤) الترمذي ، السنن ، ج ٥ ، ص٤٢٨ ، دار الحديث ، القاهرة ، بدون طبعة ، بدون تاريخ .
(٥) ماجد عرسان الكيلاني ، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها ، ص٢٤٠ ، مرجع سابق .
(٦) سورة النحل ، الآية رقم (٤٤)

وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (١)

والثالث : التذكير والتوعية والتعليم بشكل عام مثل قوله تعالى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٢)

فالمعنى الأول من معاني الذكر القرآن الكريم فالقرآن الكريم ذكر لما يتضمنه من معارف وتوجيهات؛ وبذا يأتي القرآن الكريم في مقدمة الأساليب والوسائل التي تزكي النفس والقلب . قال سفيان الثوري (إن قراءة القرآن الكريم هي أفضل أنواع الذكر إذا عمل الناس به؛ والعلة في ذلك أنه مشتمل على جميع الذكر من تهليل وتكبير وتحميد وتسبيح وتمجيد، وعلى الخوف والرجاء والدعاء، فمن وقف على ذلك وتدبره فقد حصل على أفضل العبادات وأسمى الأعمال والقربات) (٣) .

ويتخذ الذكر في منهاج التزكية شكلين اثنين(٤) :

الأول : شكل المقررات والدراسات النظرية التي تدور حول التوحيد الذي يؤدي إلى معرفة الله ، ومعرفة ملكيته المطلقة للنشأة والحياة والمصير وإحكام الصلة به والانسجام مع سننه وقوانينه في الكون والحياة والإنسان ، وأثر ذلك كله في إصلاح الأفراد والمجتمعات وبقائها ورقيها ، كذلك تتضمن المقررات المذكورة تعريفات مفصلة بأخطار القواطع الأربعة عن الذكر وهي : الشيطان ، والشهوة ، والدنيا ، والهوى . والوعي بآثارها السالبة – إن طغت وهيمنت - من حيث الإخلال بالعبودية ، وتعطيل الأفهام واضطراب السلوك والأخلاق واضطراب شبكة العلاقات الاجتماعية والعلاقات الإنسانية حتى الانتهاء بالإنسان إلى الشقاء في الدنيا والآخرة.

أما الشكل الثاني للذكر :

فهو ممارسات عملية ونشاطات تعبدية يقوم بها الأفراد والجماعات ، فهي

(١) سورة العنكبوت ، الآية رقم (٤٥)

(٢) سورة ص ، الآية رقم (٨٧) .

(٣) صلاح الدين عوض محمد ، منهج الإسلام في التزكية والإصلاح ، ص ٧٢ ، المركز القومي للإنتاج الإعلامي ، بدون تاريخ ، بدون طبعة .

(٤) المرجع السابق ، ﷺ ٢٤١ .

عند الفرد تتمثل في تربية الذوق والوجدان ، وتنمية قوى الإرادة التي تتجسد عملية في محبة الله وخشيته ورجائه .

ويلحق بذكر الله الصلاة على النبي ﷺ والتي أمر الله بها في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [1] وقد أمر النبي بالصلاة عليه فقال (صلوا علي فإنها زكاة لكم) [2] وقال ماجد عرسان (والحكمة من إدراج الصلاة على النبي ﷺ في وسائل التزكية أنها حافظة للمسلم من آثار الإقتداء بغيره من أهل الضلال والفساد والمنكر ، وهي تذكر المثل الأعلى الذي اختطه النبي ﷺ في أقواله وأفعاله وداعية للاستمرار على الإقتداء به) [3] وأي تزكية أحسن وأفضل من الإقتداء بالنبي ﷺ ومن اقتدى بالنبي ﷺ فقد أفلح ونجح وزكى .

ومن أبرز فوائد الذكر للإنسان ما أورده ابن القيم حيث قال (وفي الذكر أكثر من مائه فائدة) [4] منها :

(١) أنه يطرد الشيطان ويقمعه .
(٢) أنه يرضي الرحمن عز وجل .
(٣) أنه يزيل الهم والغم .
(٤) أنه يقوي القلب والبدن .
(٥) أنه سبب نزول السكينة .
(٦) أنه يشغل اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل .

وخلاصة القول في الذكر إنه يأتي في مقدمة وسائل التزكية فهو يعرف الإنسان بالله وبوحدانيته وملكيته للوجود ويبعد الإنسان عن دائرة الهوى والشيطان والشهوة ويجعل الإنسان في دائرة محبة الله وخشيته ورجائه ويطهر الروح والقلب ويحقق عبودية المؤمن لله عز وجل .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية رقم (٥٦)
(٢) الإمام أحمد المسند ، ج ٣ ، ص٢٦٥ ، مرجع سابق .
(٣) ماجد عرسان الكيلاني ، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها ، ص٢٤٦ ، مرجع سابق .
(٤) ابن القيم الجوزية ، الوابل الصيب من الكلم الطيب ، ط ١ ، ص٦٤ ، دار البحار ، بيروت ، ١٩٩٠م .

الخاتمة

حاول الباحث في هذه الدراسة أن يتناول وسائل التربية الإسلامية في تزكية النفس . وتزكية النفس أمر هام. وتنبع هذه الأهمية من كثرة وانتشار وسائل المعصية بين الناس ، ومن أهمية التزكية في إعداد المؤمن الصالح الذي يقوم بواجب خلافة الله في الأرض .

وبعد هذا التناول لهذا الموضوع خلص الباحث للنتائج التالية :

[١] أوجه تزكية النفس هي التخلية والتحلية .

[٢] أهم عناصر تزكية النفس أربعة وهي :

(أ) تزكية القدرات العقلية .

(ب) تزكية القدرات السمعية والبصرية .

(ت) تزكية القدرات الإرادية .

(ث) تزكية الجسم

[٣] هنالك عدة وسائل لتزكية النفس ولكن أبرزها وأهمها هي العبادات المعروفة (الصلاة - الصوم - الزكاة - الحج)